

المؤثرات العربية الإسلامية على شعوب الصين في عهد إمبراطورية (يين) المغولية في القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين

الدكتور: أحمد محمد الجوارنة

قسم التاريخ

جامعة اليرموك

أربد

تقديم:

ظلت بلاد الصين بمنأى عن المؤثرات العربية الإسلامية المباشرة، ببعديها الجغرافي والسكاني، ذلك لأن هذه البلاد لم تصلها الفتوحات العسكرية العربية، وإن هي طرقت حدود الصين، وطفقت تهدد سيادة الدول والممالك المنتشرة هناك، عندما أعلن قتيبة بن مسلم الباهلي عن نيته في اجتياح الأقاليم الصينية وضمها للدولة الأموية، على غرار ما فعل في أواسط آسية، وذلك في أواخر القرن الأول الهجري^(١).

وهي أول محاولة عسكرية جادة من قبل العرب لاحتلال الصين، ثم ما حصل في عام ١٢١٧م، حينما شنّ علاء الدين الخوارزمي، سلطان الدولة الخوارزمية، سلسلة من

الحروب ضد جنكيز خان، أدت إلى اجتياح الأقاليم الصينية الشرقية بصفة مؤقتة^(٢)، وهي الاعتداءات التي اتخذها المغول ذريعة لاجتياح العالم الإسلامي وإسقاط أنظمة الحكم السياسية، ورغم جدية هذه المحاولات التي استهدفت الصين، إلا أنها لن تحقق فتحاً ولا سيطرة عربية إسلامية دائمة على الأقاليم الصينية، وبذلك فشلت في إيصال رسالة الإسلام وثقافته إلى بلاد الشرق الأقصى، وفي ذات الوقت، نقف عند حركة هامة سعة من خلالها التجار المسلمون، سواء من الهند أو إيران أو الجزيرة العربية والعراق، إلى نشر المعتقدات الدينية الإسلامية في المناطق الجنوبية، كإندونيسية والفلبين وجزر الملايو وتايلاند وماليزية، والتي تعرف ببلاد جنوب شرق آسيا، وهي أقاليم منفصلة تمام الانفصال عن الصين، ورغم ذلك فقد طال التأثير الإسلامي على المناطق الساحلية الجنوبية للصين، وهي بطبيعتها محدودة النطاق، إذن، كيف نفذ الإسلام بثقافته ومعتقداته إلى بلاد الصين الشمالية والغربية والوسطى، حتى وصل إلى الجزيرة الكورية واليابان، والتي اشتهرت عند المؤرخين والرحالة العرب والأجانب ببلاد (الصين صين)؟ ومن المسؤول عن نشاط الدعوة الإسلامية وثقافة العرب في تلك المناطق؟ وما هي السبل التي مارسها رجالات الإسلام في اختراق جدار الصين العظيم الذي ظل معزولاً عن العالم الإسلامي حتى القرن الثالث عشر الميلادي؟ وهل كان من محصلات الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي تلاقح الفكر والثقافة المغولية الممزوجة بثقافة الصين بثقافة العرب المسلمين؟ هذه التساؤلات وغيرها مما ستسعى هذه الدراسة للإجابة عليها والمتعلقة بأثر العرب والمسلمين على شعوب الصين في ظل الحكم المغولي في القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين.

١:١- خضعت الصين للسيطرة المولية المباشرة في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي وتحديداً سنة ١٢١٥م، وذلك على يد جنكيز خان، فسيطرت على الأقاليم الشمالية الغربية والشمالية الشرقية، وفي عام ١٢١٨م، احتوت أقاليم تركستان الشرقية^(٣)، وعندما اتخذ جنكيز خان قراره الخطير باجتياح الدولة

الخوارزمية الإسلامية، والتي كانت تسيطر على أواسط آسية وإيران وأفغانستان، وأصدر أوامره إلى أولاده بقيادة الحملات العسكرية التي جاءت على أربع جبهات، وذلك لتسهيل مهمة السيطرة على دولة الخوارزميين وبالسّعة الممكنة، لتسقط المدائن الخوارزمية مدينة تلو الأخرى، ومن أترار إلى بنكت وفرغانة ومراغة وجند وخجندة وسمرقند وبخارى وخوارزم... إلى أن وصلوا إلى مدائن فارس كالري وقزوين ونيسابور وإلى الحدود العراقية، ليفرغوا من مهمة إسقاط الدولة الخوارزمية بحدود سنة ١٢٢٤م^(٤)، ولقد اتخذ المغول سياسة التفريغ السكاني، سواء عن طريق الإبادة الجماعية، وفرض الهجرات القسرية على الناس، أو مصادرة الكفاءات البشرية، كالعلماء والحرفيين والصنائعيين وغيرهم وإرسالهم إلى بلاد الصين ومنغولية، وقد كشفت المصادر العربية الإسلامية عن مجموعات كبيرة من أولئك العلماء والحرفيين الذين تم أسرهم على يد المغول، والحقيقة أن تلك المصادر لا تسعنا في معرفة الحجم الحقيقي لعدد الأسرى المسلمين الذين صودروا من بلادهم إلى الصين، في حين كانت أكثر المدن استنزافاً لطاقتها العلمية والحرفية الخلاقة هي مدن: بخارى وسمرقند ونيسابور.

وقبيل وفاة جنكيز خان سنة ١٢٢٧م، أمر بتوزيع البلاد المفتوحة بما فيها بلاد الصين على أبنائه الأربعة، وكانت الصين من نصيب أسرة "تولي خان" الابن الأصغر، وفقاً لتشريعات المغول وقواعدهم في الحكم، فقد مُنح تولي خان منصب "الخان الأعظم" لأنه أصغر الأبناء، وكونه امتاز بالشجاعة والبطولة وسداد الرأي والتدبير، ومحط مشورة والده في جميع الملمات، ومشرفاً على مواطن أبيه ومعسكراته وأمواله وخزائنه وذخائره وأمرائه وحرسه الخاص^(٥)، وعلى الرغم من بقاء "تولي خان" الخان الأعظم مدة خمس سنوات (١٢٢٧-١٢٣٢م)، إلا أن المصادر التاريخية المعاصرة لا

تقدم أية معلومات حول سياسته الدينية خصوصاً تجاه الإسلام والمسلمين، وكذلك عدم ظهور أية مآثر للزعماء والعلماء المسلمين الذين عاشوا في بلاد الصين ومنغولية. وعقب وفاة "تولي خان" سنة ١٢٣٢م، آلت الخانية العظمى إلى "أوكتاي خان" حاكم ولاية منغولية، الذي احتضن أبناء شقيقه "تولي" ورعاهم وأكرمهم غاية الإكرام، كما نالت والدتهم "سيور قوقيتي بيكي" نفس الرعاية والإكرام، التي راحت تستثمر تأييد الخان الأعظم لها ولأبنائها، فعملت على استقطاب العناصر المتنفذة داخل المغولي، من خلال تقديم الهدايا والأموال، حرصاً منها على توفير الدعم اللازم لبيعة ابنها "منكوخان" كخان أعظم للمغول في بلاد الصين، وحققت نجاحاً كبيراً بعد وفاة "كيوك خان" ابن "أوكتاي خان" في حشد تأييد أمراء المغول لعقد مؤتمر الشورى العام (القولليات)، الذي انعقد سنة ١٢٥٠م، وتمخض عنهبيعة "منكوخان" خاناً أعظم للمغول، ثم أجلس على سرير الملك في مدينة "قراقورم"^(٦)، وبذلك سيطر منكوخان على أقاليم الشرق الأقصى، لاسيما بعدما انتشرت جيوشه تفتح الأقاليم الشمالية والغربية والشرقية والجنوبية لبلاد الصين، وتكللت جهوده بفتح مدينة خان باليق (بكين حالياً) ليؤسس إمبراطورية مغولية جديدة عرفت بأسرة بين (Yuan) وذلك على أنقاض أسرة الصين العريقة "سونغ"، التي حكمت الصين من سنة ٩٦٠م، وحتى عام ١٢٥٠م^(٧).

٢٠١- تشير معظم المصادر التاريخية وكتب الرحلات التي وصلت إلى بلاط إمبراطورية المغول في بلاد الصين إلى أن الحياة الدينية والعقائدية السائدة وسط المغول والشعوب الصينية هي الديانة البوذية (الوثنية)، التي سيطرت على مسار الدولة السياسي والاجتماعي، وكانت أكثر انتشاراً في مؤسسة المغول العسكرية، وإذا ما عرفنا أن إمبراطور المغول في الصين هو الخان الأعظم لكافة ممالك المغول، فهذا يعني أن الديانة البوذية كانت بدون شك ديانة كل المغول، في بلاد ما وراء النهر ودولة القبيلة الذهبية وكذلك إيلخانية المغول في إيران والعراق، كما نلاحظ حرص الدولة المغولية على التقيد التام والالتزام الثابت بمقررات الجد

المؤسس جنكيزخان، الذي صاغ قوانين وتشريعات عرفت باليساق، بينما لا يعتبر اليساق بأي شكل من الأشكال عقيدة دينية، بل ميثاق مغولي خاص استوعب المسائل السياسية والعسكرية والاجتماعية، وغاية ذلك الحفاظ على وحدة الأسرة المغولية، وبناء دولة قوية روحها التشريع والقانون.

وحيثما نعالج المصادر التاريخية قريبة العهد بحكم "منكوخان"، نجد أن الزعيم المغولي "أوكتاي خان" يفوض مصالح الدولة وتدبير شؤونها إلى زوجة "تولي" الكبرى الملكة "سيوريكي"، التي تتمتع بالحكمة والعقل وسداد الرأي، ويؤكد المؤرخ رشيد الدين الهمذاني أن هذه السيدة المغولية تعتنق الديانة المسيحية، وعملت على ترويج الديانة المسيحية بين أتباعها^(٨)، وإذا اعتمدنا رواية الهمذاني وسلمنا بها، فتكون الديانة المسيحية أسبق من الإسلام إلى البلاط المغولي في بلاد الصين.

وعندما نطالع سيرة السيدة المغولية نجدها رغم إيمانها بالمسيحية تنتظر إلى بقية الأديان الأخرى نظرة ودّ وتسامح، لاسيما تجاه الإسلام والمسلمين الذين وجدوا منها كل تقدير واحترام، وسعت بكل جد إلى إظهار تكريمها للإسلام وشريعته، وهنا يعيد رشيد الدين، تأكيده على أن ملكة المغول تغدق الأموال والصدقات والعطايا على أئمة المسلمين ومشايخهم، ومصادق ذلك أنها منحت كيساً من الفضة (بالش) لإقامة مدرسة في مدينة بخارى، على أن يتولى ذلك العمل ويشرف عليه، شيخ الإسلام سيف الدين الباخرزي، كما أمرت بشراء الضياع ووقفها على هذه المدرسة. ولقد اختير لها المدرسون وطلاب العلم، وكانت توالي إرسال الصدقات إلى الأطراف والنواحي، وتتفق الأموال على المساكين والفقراء من المسلمين وظلت تسلك هذه الطرق إلى أن توفيت في شهر ذي الحجة سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م^(٩).

صحيح إن زوجة تولي خان لم تعتنق هي وأتباعها الإسلام، إلا أنها في نفس الوقت لن تظهر عداً ضده، بل أبدت تسامحاً وتقديراً لأتباع الديانة الإسلامية، وهي بادرة

إيجابية على بداية تعايش مغولي صيني مع المسلمين، وخطوة نحو قبول المعتقدات الإسلامية في إمبراطورية المغول، وهي أيضاً بداية أولى تجاه تأثير إسلامي -ولو على نطاق محدود- في بلاد الصين المغولية، ويعتبر توجه السيدة المغولية بمثابة إرساء قواعد التسامح الديني في بلادها، وذلك ما خضع لتأثيره منكوخان، بعدما اعتلى عرش المغول، إذ اتخذ سياسة دينية متسامحة إزاء الأديان، ولم يتعرض بالأذى والاضطهاد لأية معتقدات، مما ترتب على ذلك، انتشار حرية الاعتقاد والتبشير الديني، وهذا ما أكدته الموسوعة البريطانية، التي ورد فيها: "إن الكنائس والمساجد والمعابد البوذية قد شيدت في عاصمة الإمبراطورية قراقورم (قبل أن تصبح العاصمة بكين) التي أضحت من أهم المدن وأعلاها مكانة في زمانه^(١٠).

٣:١- يبدو أن سياسة التسامح الديني في بلاط الإمبراطورية المغولية في الصين ظهرت في مرحلة مبكرة، وأخذت تغطي على القرارات السياسية للدولة لاسيما عندما اعتلى "منكوخان" عرش الإمبراطورية، حيث أصدر مرسوماً (فرماناً) يقضي بتخفيض الضرائب عن الرعية، فأعفى منها المشايخ الكبار وطائفة رجال الدين والأئمة من المسلمين، وكبار القساوسة والرهبان والأخبار من النصاري، واللامات المشهورين من البوذيين^(١١)، فكان من نتائج تطبيقه هذا المرسوم تثبيت قواعد التسامح والعدالة الاجتماعية، واستقطاب هجرات جماعية كبيرة من التجار المسلمين وغيرهم، لاسيما قبائل التازيك (الطاجيك) وقبائل الترك المسلمين إلى دولة المغول في الصين، تدفعين الرغبة للعيش في ظل حكومة متسامحة عادلة^(١٢)، كما ويلاحظ اهتمام مسيحي في توثيق العلاقات والروابط المغولية بالمسيحية، وهذا ما بدا واضحاً من موقف ملك فرنسا (لويس التاسع ١٢٢١-١٢٧٠)، الذي أرسل إلى بلاط "مكوخان" سنة ١٢٥٢م، بعثة برئاسة الراهب "غيوم روبك" (Rubrique)، الذي وصل إلى قراقورم واجتمع بمنكوخان^(١٣)، كمل

سنلاحظ اهتماماً أوروبياً كبيراً في إقامة علاقات مع دولة المغول، وذلك من خلال الوفود المتتالية على بلاط بلاد المغول في بلاد الصين.

أما عن علاقة البلاط المغولي بالمسلمين، فلا تعدوا عن كونها علاقة مصالح، سيما وأن المغول استخدموا الكثيرين من العلماء والحرفيين والصنائعيين المسلمين، الذي أسروا أثناء اجتياح المغول للدولة الخوارزمية، حيث اقتضت سياسة الدولة المغولية فتح الأبواب أمام الكفاءات الإسلامية لتوظيفها في خدمة الدولة -إدارة وتشريعات- لذلك برزت العديد من الشخصيات الإسلامية (وهي شخصيات مهمة بالطبع)، في بلاط "منكوخان" منهم: فخر الدين محمود يلواج، الذي خدم وزيراً في بلاط الملك المغولي "أوكتاي خان"، في مملكة منغولية ما بين عام ١٢٣٠-١٢٤١م، وكان يلواج مقرباً من "منكوخان"، وحاز على عطفه وتقديره، وحينما توفي "أوكتاي"، استقدمه إلى بلاطه وجعله من خاصته ومستشاريه، ولازمه في أكثر اجتماعاته، وظل محط مشورة الخان الأعظم سنين طويلة، ومن الدلالات على نفوذ يلواج في بلاط المغول، أنه في أحد مجالسه الرسمية التي دعي إليها "منكوخان" بسبب ظهور حالة من الفوضى السياسية بين الأمراء، وأشار على الحضور بآرائهم، ثم تلاهم يلواج وأبدى رأيه بقتل كل الأمراء الذين أظهروا عصيانهم ضد دولة المغول، واستبدلهم بآخرين، ولذلك أمر "منكوخان" بقتل جميع الأمراء الذين خرضوا على التمرد والعصيان^(١٤). وهو الأمر الذي ينطوي عليه مكانة ومقدار ما تمتع به محمود يلواج في قصر المغول، وقدرته على صياغة القرارات السياسية الكبرى الحازمة، والتي لها أساس مباشر بأمن وسلامة البلاد، وليس ذلك فحسب، بل دفعت ثقة الخان الأعظم بمحمود يلواج إلى تعيينه حاكماً لولاية الشرق لضبط ممالكها، وتنظيم مواردها، وكذلك منح ولده مسعوداً -الذي تحمل أعباء كبيرة بسبب ولائه وإخلاصه للعرش المغولي- ولاية تركستان وبلاد ما وراء النهر وبلاد الأويغور وفرغانة وخوارزم، وفي نفس الوقت فوض إلى

"أرغون خان"، حكم أقاليم إيران وخراسان وفارس وكرمان، وأذربيجان، وجورجية (كرجستان)، واللور، وآران، والأرمن وديار بكر^(١٥).

كما نلاحظ شخصية إسلامية هامة في بلاط الإمبراطور المغولي "منكوخان" وهو الأمير عماد الدين، الذي فوضه مع بعض الأمراء في بحث كل ما يرتبط بشؤون الرعية وحقوقهم ومصالحهم، وهي رغبة شاء الخان الأعظم من خلالها إرساء قواعد العدالة الاجتماعية، على أن الأمير عماد الدين كان يكتب، للوصول بالعدل إلى كافة الأقاليم والمناطق، المراسيم والمنشورات وينسخها بيده ويعمل على تصديرها رسمياً باسم الخان المغولي^(١٦).

١:٢- كان "منكوخان" قبل وفاته قد عهد بالخانية العظمى لشقيقه الأصغر "أرك بوغا" (Irik Bugha) ومنحه ولاية منغولية وعاصمتها قراقورم، مبقياً الأقاليم الجنوبية من بلاد الصين بيد كوبلاي خان^(١٧)، وترتب على هذا القرار شيوع الاضطرابات السياسية في الأقاليم، وتعرضت البلاد لأزمة سياسية معقدة، لاسيما بعد وفاة "منكوخان" سنة ١٢٥٩م، حيث دبّ الخلاف وسط الأسرة المغولية، وسبب ذلك، أن "كوبلاي خان" رفض أن تكون الخلافة "لأرك بوغا" كي لا يصبح خاناً أعظم على كافة أقاليم الصين، إذ إن معظم أمراء ورجالات المغول كانوا مطيعين لـ "كوبلاي خان"، وبايعوه على العرش المغولي، وقد اتخذ "كوبلاي" من تأييد أمراء ورجالات المغول ذريعة وحجة لشنّ حرب واسعة النطاق ضد شقيقه "أرك بوغا"، ثم أعلن عن نفسه، في مؤتمر عام، خاناً أعظم على بلاد الصين، واتخذ من مدينة خان باليق (بكين) عاصمة للدولة، وعلى أثرها أرسل هولكو ملك العراق وإيران رسالة إلى كوبلاي يهنئه فيها على ما حققه من انتصارات، كما بايعه خاناً أعظم على الصين^(١٨)، ونلاحظ أن المعارضة الشديدة التي واجهها "أرك بوغا" من كوبلاي وهولكو، جاءت على خلفية إظهاره رغبة في الوصول إلى زعامة المغول وكذلك على إثر تسامحه

الديني تجاه المسلمين وتمشياً وسياسة والده "منكوخان"، وهذا ما نجده في رواية المؤرخ القلقشندي التي نقلها عن الشريف السمرقندي، يقول فيها بحق "أرك بوغا": "ومن عجائب ما رأيت في مملكة هذا القان (الخان) أنه مع كفره، في رعاياه من المسلمين أمم كثيرة، وهم عنده مكرمون محترمون، ومتى قتل كافر مسلماً قتل الكافر وأهل بيته ونهبت أموالهم، وإن قتل مسلم كافراً لا يقتل به، بل يطلب بدينته^(١٩).

٢:٢- أجلس "كوبلاي خان" على عرش المغول في مدينة (مينك فو Mink-Fu) سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، وهو التاريخ الذي أسقط فيه هولاكو مدائن الشام، وقد يكون تحالف هولاكو مع شقيقه كوبلاي خان ضد "أرك بوغا" أمراً واقعاً، لاسيما ما أبداه من تسامح كبير تجاه الشخصيات الإسلامية في بلاد الصين، إلا أن المصادر تشير إلى سياسة "كوبلاي" المعتدلة إزاء الإسلام والمسلمين، وقد ظهرت ملامح تلك السياسة منذ تولي عرش الإمبراطورية، ويبدو أن ممارسات هولاكو القمعية في إسقاطه لبغداد والخلافة العباسية وأتبعها باجتياح للشام، وما أعقب ذلك من تقارب مسيحي مغولي لم تنعكس على مغول الصين- فلم يظهر منهم ما يشير إلى إبادة المسلمين وقمعهم بمستوى ما حصل لهم على يد هولاكو رغم تحالفهما وسيرهم على نفس الخطى، ولا وجدنا أيضاً أن مغول الصين حاولوا إلغاء الوجود الإسلامي في مؤسسات الدولة السياسية والإدارية، ونعتقد أن التقارب الإسلامي المغولي في الصين ارتبط بموالات الكثير من الشخصيات الإسلامية للعرش المغولي، وحرصهم على تقديم كافة الخدمات المفضية إلى إعزاز الدولة المغولية وسيطرتها على أقاليم الصين، لذلك احتفظ العديد منهم بمراكز هامة ومؤثرة داخل البلاط، كانوا فيها أصحاب القرار الأول، وذلك على الرغم من المحاولات المتكررة التي سعت إلى إقصائهم عن ممارسة أية نشاطات سياسية وإدارية.

وبناء على رغبة المغول في الاحتفاظ بالكفاءات الإسلامية واستغلال خبراتهم ومعارفهم المتنوعة، فقد احتفظ بلاطهم بالعديد من رجالات الإسلام، كالسيد الأجل البخاري، وولده أبي بكر، والأمير أحمد الفناكتي وغيرهم. نثر من خلال جامع التواريخ على حركة دوبة نشطة من قبل هؤلاء المسلمين الذين ارتقوا إلى أعلى المراتب في الدولة، إذ تسلموا منصب الوزارة، ومن خلاله أظهروا إبداعاً وتطوراً كبيراً في إدارة الدولة ومرافقها المختلفة وساهموا في استقرار البلاد، وطوروا في مواردها ومنشأتها، كما سعوا إلى فرض احترام الدولة المغولية وشعبها للإسلام والمسلمين.

وممن احتفظ بهم بلاط "كوبلاي خان" من المسلمين، عمر شمس الدين الشهير بالسيد الأجل البخاري، الذي ارتقى إلى منصب الوزارة، وذلك بعد وزارة وإدارة الوزير محمود يلواج، وقد فوّض المغول إليه قبل الوزارة حكم ولاية (قراجانك) التي زارها "كوبلاي" قبل أن يتولى السلطة، ويؤكد (رشيد الدين الهمذاني) أن الجيش المغولي في هذه المقاطعة تعرض للمخاطر الكثيرة التي بدأت تهدد مصير الجند، فضاع الجند وأصبحوا عراة جائعين، ولما علم السيد الأجل البخاري بحالهم سارع إلى تقديم الخدمة والمعونة، وقدم لجيش المغول كافة الخدمات اللازمة، وبذلك تعهد "كوبلاي" برعايته وتكريمه، لأنه أبدى اهتماماً كبيراً تجاه تخليص الجيش من المأزق الذي يهيم فيه الجند، ولما وصلت نوبة الملك إلى "كوبلاي خان"، استدعاه وقلده منصب الوزارة، وفوض حكم ولاية (قراجانك) لابنه ناصر الدين البخاري^(٢٠)، وكذلك جعله عضواً في مجلس السر الأعلى للمغول^(٢١).

وعندما نعرف أن المدة التي خدم فيها السيد الأجل البخاري، وزيراً للدولة المغولية هي خمس وعشرون عاماً، فإننا ندرك حجم التأثير الكبير الذي فرضته هذه الشخصية على كافة الشؤون المتعلقة بدولة المغول، لاسيما السياسية والإدارية^(٢٢)، إلا أن السيد الأجل عندما كان حاكماً لولاية (قراجانك أويوننان)، فقد أثبت مقدرة فائقة وكفاءة

منقطعة النظر، تجاه إعمار الولاية وتطويرها من خلال بناء المدارس العلمية، وشق الطرق وبناء الجسور والسدود، كما تبني سياسة الإصلاح الاجتماعي بإزالته للمظالم والمغارم الملقاة على كاهل السكان، وأبطل السخرة، وشيد ملاجئ للأيتام والعجزة، وخفف الضرائب والمكوس، وأحدث (أنموذجات) زراعية غاية في التطور، وحفر الآبار وأقام الأسواق، وأدخل في طاعة الدولة المغولية مالا يعد ولا يحصى من الأقوام، ولم يغب عن شخص السيد الأجل البخاري أن يبني المساجد الكثيرة في سائر المدن الواقعة في ولايته، للحفاظ على إقامة الشعائر الإسلامية ودعماً لنشر الدعوة، ونجده في نفس الوقت يبني معابد للبوذية^(٢٣)، وحفر السيد الأجل نهراً في منطقة (تشاوينيان)، التي تطفى عليها الأنهار والفيضانات والبحيرات، وصرف المياه عن المنطقة، التي كانت تغمر بالماء من قبل، كما حفر ترعاً كثيرة وخلقاً لسقي البقاع المحتاجة إلى الري، وجعل بريداً مؤلفاً من ٣٦٠ (ثلاثمائة وستين) فارساً وحارساً بقدريهم يسهرون على السدود بحيث إذا حصل فتقاً في أحدها أسرع البُرد بإخبار الحكومة، فجمعت الحكومة الأهالي ونهضوا لرتق الفتق^(٢٤)، وفي عهد الوزير السيد الأجل البخاري جرى نظام التعامل في بلاد الصين بالنقود الورقية المعروفة بـ (الجاو)، وطوال تلك الفترة التي وزر فيها، ظل التعامل بهذا النوع من العملة دقيقاً محكماً، وعلى أساسه أمكن تنظيم الدخل والخرج للمملكة كلها^(٢٥)، ونلاحظ أن السيد الأجل وبقية المسلمين أدخلوا العديد من المصطلحات العربية إلى لغة الصين والمغول، فالإ جانب كثرة المسلمين الذي استقروا في حاشية كوبلاي خان، يؤكد المؤرخ كاترمير بأنهم الذين حملوا معهم الكثير من الكلمات العربية والفارسية، وضرب على ذلك مثلاً، إذ قال: "ويمكننا أن ندلل على ذلك بما يلي، يقول الرحالة ماركو بولو (رحلة ماركوبولو، ورقة ٣١): إنه كان لدى الفلكيين في مدينة (كمبالو) (Cambalu) (مكين) لوحات مربعة يسمونها تكويني (Tacuini) ويسجلون عليها كل ما يقع في أثناء العام، ومن الواضح -يقول كاترمير- إنه يجب أن نقرأ بدلاً من كلمة (تكويني) كلمة

تكوين (Tacuim) وهي الكلمة العربية "تكوين"^(٢٦)، ويشير كذلك إلى أنه يوجد في بلاط "كوبلاي خان" وزير يحمل لقب (السيد الأجل)، وهي كلمتان عربيتان خالصتان، وجعل من ذلك دلائل تبرهن على أن قصر المغول في الصين كان يعج بالمسلمين الفارسيين، وأن هذا العامل المغولي نفسه أنشأ في مدينة تاي-تو (Tai-Tou) مدرسة إمبراطورية لتعليم العلوم والفنون، وجعل مهمة الإشراف عليها لـ (هوى هو Hoeu-Hou)، أي المسلمين^(٢٧)، ومات السيد الأجل البخاري سنة ٢٧٩م، وكان له مآتم عمّ الصين بأسرها، وذبحت القرابين في بلاط المغول إحياءً لذكراه^(٢٨).

ومما لا شك فيه، أن الخبرة الكامنة لدى السيد الأجل البخاري، ورجالات الإسلام عموماً، وقدرتهم على قيادة الدولة وإدارة مؤسساتها بنجاح تام، هي الأسباب التي دفعت بكوبلاي خان للتمسك بهم وتقليدهم أعلى المناصب في الدولة، كمنصب الوزير، وتلك الخبرة والتجربة التي تحلى بها السيد الأجل، أفادت إفادة عظيمة في تقوية المؤسسة السياسية والإدارية والمالية، كل ذلك ولد لدى إمبراطور المغول قناعات راسخة، لا يعتربها الشكوك، بأن هذه الشخصيات الإسلامية هي بحق، القادرة على تحمل أعباء الدولة جنباً إلى جنب مع قادة وزعماء المغول، وهي القناعة التي تمخض عنها تقارب مغولي صيني مع المسلمين، والذين أضحووا مواطنين يعيشون بحرية ويتمتعون بكافة الحقوق والواجبات، على أن توجه المغول هذا حثهم على ملء المناصب العليا من المسلمين، ولذلك، وبعد وفاة السيد الأجل، سارع "كوبلاي خان" إلى تعيين الأمير أحمد الفناكتي وزيراً للإمبراطورية، إذ إن شخصية الفناكتي لا تقل أهمية عن شخصية السيد الأجل، البخاري إن لم تفوقها شأنًا ونفوذًا، فقد حل كافة الأمور في إمبراطورية المغول وعقدها بيده، وإن كانت الكفاءة والعلم والخبرة العالية من الأسباب التي وجهت أنظار القيادة المغولية العليا نحوه، فإن هناك سبباً آخر وراء وضعه في مكان يخوله بالتصرف في شؤون الدولة، إذ إنه كان على علاقة وثيقة مع السيدة المغولية الشهيرة باسم (جابوي خاتون)، وكذلك مع جميع أفراد أسرتها، وحينما

تزوجت من الإمبراطور "كوبلاي خان"، ارتفع قدره، وأضحى من جملة الأمراء العظام في البلاط المغولي، حتى قبض على أزمة الأمور في سائر البلاد، ونظراً للمكانة الرفيعة التي تمتع بها الأمير أحمد، صار المغول يسمونه (شوفنجان) ويعني ذلك العزيز الأكمعي، وشو لقب الأمراء العظام^(٢٩).

٢:٣- على أن المكانة التي وصل إليها الأمير أحمد الفناكتي، كشفت عن نفوذ سياسي واضح داخل البلاط المغولي، وهي المكانة التي أتاحت للمسلمين فرصة أخرى ثمينة للقيام بدور الدعوة والتأثير بأريحية وأمان، وجعل المؤثرات العربية الإسلامية -ولو على نطاق ضيق- تشق طريقها إلى المؤسسات الرسمية والشعبية، وهو النفوذ الذي دفع الأمير أحمد حياته ثمناً له، إذ كثرت أعداءه والحاقدون عليه، لاسيما من قبائل وأمراء (الخطا) الذين ما فتئوا يحيكون ضده المؤامرات، ويتربصون به الفرص، حتى قتلوه وأبعدوه عن موقع التأثير^(٣٠)، علماً بأن الجماعات التي ظهرت في عهد وزارة أحمد الفناكتي لن تستطع التخلص منه عن طريق الوشاية والدر لدى الإمبراطور كوبلاي خان، لما تربطه بالخان الأعظم علاقات راسخة متينة، يضاف إلى ذلك، ثقة الإمبراطور المطلقة بإدارته لمؤسسات الدولة، لذلك سعوا يخططون لقتله بالخفاء، ولا نتردد، أن النصاري وبالتحالف مع بعض القيادات المغولية، قد اتفقوا لإنهاء المكانة الكبيرة التي بدأ يتمتع بها الإسلام وأنصاره داخل بلاط المغول، وقد علمنا أنفأ، أن الديانة النصرانية أسبق من الإسلام إلى القصر المغولي، فهذه زوجة الإمبراطور تولي خان المدعوة بـ "سيوريكي" تدخل في النصرانية، كما حظيت النصرانية (المذهب النسطوري) بالكثير من التقدير والرعاية في عصر الخان "منكو" حينما أصدر مرسوماً (فرماناً) يعفي بموجبه القساوسة والرهبان من كافة الضرائب^(٣١)، أما في عصر كوبلاي، فقد ظهرت موجة حادة وسط الذين يدينون بالوثنية حيث أبدوا عصبية دينية شديدة ضد المسلمين، وراحوا يعملون للتخلص

من الشخصيات المتنفة صاحبة الفضل في تقريب وجهات نظر المغول بالمسلمين ومعتقداتهم، والوقائع التاريخية تشير بما لا يدع مجالاً للشك، أن ما وصلت إليه النصرانية النسطورية من مكانة مرموقة داخل أسوار الدولة المغولية الصينية مرده إلى جملة أسباب:

أولاً: النشاط التبشيري الذي بدأ يتقاطر على بلاط المغول في بلاد الصين، جاء عقب اجتماع هولاءكو خان لبغداد وإسقاطه للدولة العباسية (٢٥٨م)، واحتلاله لبلاد الشام (٢٦٠م)، وما تبع ذلك من خسائر بشرية ومادية هائلة في صفوف المسلمين، الأمر الذي هيا الفرصة لبداية تقارب أوروبي مغولي، تبلور فيما بعد إلى شكل تحالف سياسي كبير ضد العالم الإسلامي.

ثانياً: الموقف المتشدد والمناوئ الذي تبنته زوجة هولاءكو "دوقوز خاتون" ضد المسلمين ومصلحهم في المنطقة الإسلامية وهي ما عرف عنها إيمانها بالعقيدة النصرانية وعلى المذهب النسطوري، فسعت إلى حشد قوات وقدرات المغول الكاملة لمصالح النصراني في بلاد المشرق، وبذلك نجحت في تحويل مسار إيلخانية العراق وإيران إلى صراع عقائدي بحث بين المسيحية والإسلام، وهو الذي شكّل أرضية التحالف الأوروبي المغولي، بالإضافة إلى المكاسب الكبيرة التي حققتها المسيحية داخل مراكز الدولة المغولية في إيران والعراق^(٣٢).

ثالثاً: السياسة المتطرفة التي اتخذها أبغاخان بن هولاءكو (١٢٦٥-١٢٨١م)، تجاه المسلمين ومعتقداتهم، وهو من ملوك المغول الذين اعتنقوا الديانة النصرانية وتزوج من ابنة إمبراطور القسطنطينية وأقام تحالفاً رسمياً مع الصليبيين لإحكام السيطرة على العالم الإسلامي، فتحالف مع لويس ملك فرنسا، وشارل ملك صقلية، وجيمس ملك أرغونة، وفي عصره، تحركت البعثات التبشيرية الأوروبية إلى بلاط المغول في الصين للحد من نشاط وتقدم الدعوة الإسلامية،

وكان منهم: "ولھليم فون روبروك الفرنسيكاني"، والمبشر "جيو فاني دي بلانو كاريني"، والمبشر "ماركو بولو" وغيرهم (٣٣).

لم يقف جهد إيلخانية العراق وإيران المغولية عند هذا الحد، بل لم يتوان "خان" لحظة عن إرسال الوفود المتتابعة إلى بلاط "كوبلاي خان" لثنيه عن رعاية المسلمين وعن الاحتفاظ بهم في مؤسسات الدولة السياسية والإدارية، مقابل تقديم رعايته واحترامه للنصارى، الذين برز نشاطهم المكثف في هذه المرحلة الحرجة عند المسلمين، وكذلك سعياً للوصول إلى احتواء الشرق وإخراجه من دائرة التأثير الحضاري للعرب المسلمين، وقد مارس أبغاخان أساليب مختلفة لتحقيق هذه الغاية، ومن جملة ذلك، أنه قام بإرسال وفد من المسيحيين المتعصبين إلى بلاط كوبلاي، لإثارة غضبه على المسلمين، وتغيير سياسته المتسامحة تجاههم، فقد روى مؤرخ البلاط المغولي، رشيد الدين الهمداني: "إن جماعة نصرانية جاءت إلى بلاط كوبلاي من قبل ملك العراق وفارس (أبغاخان)، وقالوا له: إنه توجد آية في القرآن تقول: "اقتلوا المشركين كافة"، فقال كوبلاي خان مدفوعاً بدافع الغضب من أين تقولون هذا؟ فأجابوا: فقد وصلت رسالة بهذا الشأن من لدن أبغاخان، فطلب كوبلاي تلك الرسالة، ثم استدعى العلماء المسلمين وسأل واحداً من كبارهم، وهو بهاء الدين البهائي قائلاً: أتوجد هذه الآية في قرآنكم أم لا؟ فأجاب: بلى توجد، قال أستمعون قرآن الله؟ قال: بلى، قال إذا كان الله قد قال: اقتلوا المشركين كافة" فلماذا لا تقتلونهم؟ فأجاب البهائي: إن الوقت لم يحن بعد، وليست لنا القدرة على ذلك، فغضب الملك وقال: ولكن الباري مكنتني من ذلك، ثم أمر بقتله، ولكنه منعه من تنفيذ ذلك الأمير أحمد الفناكتي والقاضي بهاء الدين الذي كان له أيضاً مرتبة الوزارة (٣٤)، ويشير المؤرخ رشيد الدين الهمداني، إلى أن الإمبراطور المغولي لم يكتفِ بتلك المناظرة بينه وبين مشايخ وعلماء المسلمين، بل استدعى مولانا حميد الدين السمرقندي، وهو أحد القضاة الكبار في دولة المغول، ووجه إليه كوبلاي خان نفس الأسئلة الأولى، فأجاب حميد الدين: نعم توجد هذه الآية،

فقال الملك: لماذا لا تقتلون المشركين؟ أجاب حميد الدين: لقد أمر الله تعالى بقتل المشركين، ولو أذن لي الملك لقلت له من هم المشركون فقال كوبلاي: تكلم، فقال: أنت لست مشركاً، لأنك تكتب اسم الله الأعظم في مقدمة المرسوم (الفرمان) أما المشرك، فهو من لا يعرف الله، ويجعل له شريكاً، وينكر وجود الله العظيم، فأعجب الملك أيما إعجاب، وتمكن ذلك الكلام من قلبه، وكرم مولانا حميد الدين وشمله بعطفه، وبفضل كلامه نجا الآخرون من المسلمين مما كان ينتظرهم^(٣٥)، ونلمس من ثنايا هذه الروايات التي جاء بها الهمذاني) أن ملك فارس والعراق (أبغا خان بن هولكو) جد في السعي وراء خلخلة الثقة بين قيادة المغول في الصين وبين المسلمين من خلال إثارته لنظرة القرآن الكريم للكفار والمشركين، وهي نظرة حاسمة بدون شك. إلا أن كوبلاي خان، ورغم انفعالاته الأولية إزاء موقف الإسلام الفاصل من المشركين والكفار، لم يغير من منهجيته الأولية إزاء موقف الإسلام الفاصل من المشركين والكفار، لم يغير من منهجيته السياسية البتة، إذ بدى أن عنايته لا تتصل بمعتقدات المسلمين ولا حتى المسيحية، بقدر اهتمامه الواضح في تأكيد سيادة المغول وتطوير مؤسسات الدولة وضبط ممالك وإمارات الصين المترامية الأطراف، ولم يشعر أن دولة المغول في خطر يهددها الإسلام والمسلمون، بل رأى أن رجالات الإسلام، هم عمدة الدولة وسندها في الارتقاء بها نحو التقدم والاستقرار.

ونلاحظ كذلك، إصرار (أبغا) على توثيق علاقات المغول بأوروبية المسيحية، من خلال فتح الأبواب أمام البعثات التبشيرية المتتالية، سواء إلى بلاط إيلخانية المغول في فارس والعراق، أو دفعهم إلى بلاط كوبلاي خان في بكين، وعليه فإن ملك العراق وإيران كان المحرّض والدافع المباشر وراء سفارة ماركو بولو (Marco Polo)، إلى بلاط كوبلاي خان سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٥م، وقد مكث ماركو بولو ومن معه من الوفد من المقربين إلى الخان الأعظم حتى مغادرتهم أرض الصين سنة ١٢٩٥م، ولأن "كوبلاي خان" طفق ينحاز بعض الشيء إلى المسيحية تلبية لرغبات ابن أخيه القائم

على حكم العراق وإيران، فقد سهل لهم سبل الاتصال التجاري ومع دولته، ولا ننفي هنا مع ما ذهب إليه المؤرخ (فؤاد عبد المعطي الصياد)، الذي عزا كثرة الاتصال بين الشرق والغرب كنتيجة لمسياسة "كوبلاي" في ضمان حرية التجارة الأوروبية باتجاه الصين^(٣٦)، مع أن ذلك من الأهداف الهامة بالنسبة لدولة المغول، بل وأثناء معالجتنا لمواقف إيلخانية فارس والعراق، نقف على الرغبة التحريضية لدولة المغول في بلاد الصين لتتخذ موقفاً معادياً تجاه المسلمين ونشاطهم البارز في مؤسسات الدولة، وكذلك دور مغول إيران في مد جسور التعاون بين أوروبية وإمبراطورية الصين المغولية، وهذا ما كشفته المصادر التاريخية، وأكد عليه ماركو بولو نفسه أثناء رحلته إلى بلاد الصين، إذ إنه هو وما فيو بولو (Maffio-Polo) ونيكوبولو (Nico- Polo) وهم من أهالي البندقية في إيطالية، حملوا رسالة من بابا روما (جرايجوار العاشر ١٢٧١- ١٢٧٦م)، إلى ملك المغول "كوبلاي خان" بهدف توطيد العلاقات بين الخان الأعظم وبين أوروبية الصليبية^(٣٧).

ونلاحظ التحريض الكبير الذي اضطلعت به البعثة الأوروبية في تحريض خان المغول على رعايا الدولة المسلمين، كذلك حاكوا المؤامرات للحيلولة دون تنامي النفوذ الإسلامي ومؤثراته العقائدية والثقافية في بلاط المغول خاصة وبلاد الصين بعامه، خصوصاً إذا عرفنا أن المدة التي مكث فيها الوفد الإيطالي هي عشرون عاماً أي أنها استمرت حتى بعد سنة ١٢٩٣م، وهي السنة التي توفي فيها "كوبلاي"، فإننا بدون شك نعزي حالة التحول السياسي لدولة المغول تجاه المسلمين، إلى تلك الممارسات والجهود التي سعت إلى تقويض دور المسلمين على يد تلك البعثات الأوروبية وغيرها.

٤:٢- لقد حافظ المسلمون على مواقع مؤثرة غاية التأثير داخل إمبراطورية المغول الصينية، وظلت أحوالهم تتطور في الفترة التي كان فيها الأمير أحمد الفخاكتي والسيد الأجل وزراء للدولة، وهو الوضع الذي دفع مناوئي المسلمين إلى الحد

من النفوذ الإسلامي الذي بدأ يخترق بقوة عقائد الصين وتراثها القديم، كما تغيرت نظرة المغول تجاه المسلمين بعض التغير، بعد وفاة الأمير الوزير (أحمد الفناكتي) الذي ذهب ضحية المؤامرات الداخلية والخارجية، لاسيما عندما اعتلى منصب الوزارة رجل إيغوري يدعى (سنكة)، لا يستبعد أن يكون من النصاري، لأن النصرانية كانت منتشرة على نطاق واسع وسط الاويغوريين، والشاهد على ذلك، أن زوجة هولاكو المدعوة "دوقوز خاتون" كانت هي الأخرى من قبائل الاويغور وتدين بالنصرانية، لذلك، حظيت النصرانية في عهد (سنكة) بفائق العناية والرعاية، وظهر أيامه جماعات كثيرة من القسس والرهبان المتنفيين، وهنا، يشير رشيد الدين الهمذاني إلى بعض أسماء هؤلاء القساوسة، أمثال: عيسى كلمجي، وابن المعال، وبنديق^(٣٨)، ولا نستبعد أن يكون بنديق الذي أشار إليه مؤرخ البلاط المغولي، هو الرحالة الإيطالي البندقي ماركو بولو وأقرباؤه، وهو مؤشر على دور البعثة الإيطالية المناوئ للنفوذ الإسلامي في بلاد الصين.

وقد تسبب هؤلاء في تدهور العلاقات بين الخان الأعظم والمسلمين، حتى وصل الأمر إلى قطع الصلات التجارية بين دولة المغول والعالم الإسلامي، وتسببوا أيضاً في انتزاع قرار رسمي من بلاط المغول، يقضي بمنع المسلمين من إقامة الشعائر الدينية، ومنعهم من ذبح الحيوانات وفقاً لمقررات الشريعة الإسلامية، وقتل كل من يخالف ذلك ولا يمثل للقانون^(٣٩).

هدد صدور المرسوم المغولي الوجود الإسلامي في الصين، وقد استغلت الجماعات المعادية للمسلمين ذلك وتشبثوا به، وحصلوا كذلك، على مرسوم آخر يخولهم الحق الشرعي القانوني في إنزال عقوبة الموت على كل شخص يذبح ذبيحة المسلمين في منزله، وتسبب ذلك في خلق حالة من الفوضى والظلم الاجتماعي العام الذي أصاب المسلمين بشكل خاص، إذ راح هؤلاء يبتزون الأموال الطائلة من المسلمين، وصلوا يخدعون غلمان المسلمين بالقول:

"إنكم إذا وشيتم بمخدوميكم فسوف نحرركم".

فكانوا يبتغون خلاصهم بالافتراء على مخدوميهم ويلصقون بهم التهم جزافاً، وقد أدى الأمر (بعيسى كلمجي والبندقي)، إلى حد أن المسلمين لم يستطيعوا ختان أبنائهم مدة أربع سنوات^(٤٠)، وأوقعوا كذلك بمولانا برهان الدين البخاري واعظ وفقه مدينة خان بالق (بكين)، وهو أحد تلاميذ الشيخ سيف الدين الباخريزي، إذ أقصوه إلى أحد النواحي النائية وقتلوه، مما أثار حفيظة المسلمين، ودفع بهم إلى الهجرة من مملكة المغول الصينية^(٤١).

انعكست آثار هذه السياسة العدائية المناوئة للوجود الإسلامي في بلاد الصين سلباً على مصالح الطرفين، المسلمين من جهة، ودولة المغول من جهة ثانية، إذ قرّر المسلمون تحت ضغط ووطأة المضايقات الشديدة إلى الهجرة الجماعية من بلاد المغول، فمنهم من هاجر باتجاه الجزائر الهندية الجنوبية (كإندونيسية، وماليزية، والفلبين)، ومنهم من هاجر إلى تركستان الغربية، كما تعطلت التجارة الإسلامية، والتي كانت تتردد على الصين من بلاد ما وراء النهر وإيران وأفغانستان، مع دولة المغول، وبدأت مظاهر القطيعة بين المغول والمسلمين تأخذ شكلاً غاية في الخطورة أثر على أمن واستقرار التجمعات الإسلامية من ناحية، وتقليص حجم الفوائد المالية من عوائد التجارة الإسلامية المغولية، التي كانت تساهم في زيادة دخل المغول من خلال المكوس والضرائب والأرباح، وقد عانى المسلمون والمغول معاناة كبيرة بسبب السياسة المتطرفة التي طفقت من جهة ثانية، تمارسها السلطة المغولية في الصين وقد أدركت الحكومة المغولية والمسلمون الخسارة الكبيرة التي مُني بها الطرفان، فمن جانبه، اكتشف "كوبلاي خان" بعد سبع سنوات من فرض قيود صارمة على المسلمين، أنهم خرجوا تبعاً من الصين إلى جزر الهند الجنوبية، وامتنعوا عن التجارة مع الصين، وتوجهت مراكبهم من جزر الهند الشرقية- الجنوبية إلى العراق ومصر، الأمر الذي أدى إلى نقص واضح في واردات الدولة وهو ما اضطره إلى التراجع عن

قراراته واحداً تلو الآخر، وفي محاولة لاسترضائهم فإنه بنى لهم مسجداً في مدينة خان بالق (بكين) يتسع لمائة ألف مصل^(٤٢).

ويلاحظ أن تراجع ملك المغول عن قراراته، جاء بسبب الخسارة المادية الكبيرة، التي تعرضت لها واردات الدولة، وبسبب إصرار المسلمين على إعادة العلاقات بينهم وبين ملك المغول إلى سابق عهدها من التسامح والاحترام المتبادلين، ونجد تأكيداً لدى المؤرخ (الهمذاني) على محاولات المسلمين الكثيرة لعودة العلاقات إلى طبيعتها الأولى، فأشار إلى أن جماعة من المسلمين، بعدما أدركوا خطورة هذه السياسة على مصالح أبناء ملتهم، بادروا إلى وضع حد لهذا التدهور، وقد تألفت هذه الجماعة من أعيان المسلمين، كهاء الدين قندوزي، وشادي زوجانك، والشيخ عمر القيرقيزي، وناصر الدين ملك، إذ تحركوا باتجاه تقديم خدمات مالية عظيمة إلى وزير البلاط المغولي (سكنه) ليتدخل من جانبه لدى الإمبراطور لوضع حد لهذه الأحوال الصعبة التي أحاطت بالمسلمين، وألجأتهم إلى الهجرات الجماعية، ونزولاً عند رغبتهم، عرض الوزير ذلك على الإمبراطور، قائلاً له: "إن جميع التجار المسلمين قد نزحوا من هنا، لم يعد يأتي التجار من بلاد المسلمين، وقد تضاعل الخراج، ولم يجلبوا النفائس والتحف، وذلك لأنه قد مضت سبع سنوات دون أن يذبح المسلمون غنماً فإذا صدر الفرمان بإباحة الذبح، فسوف يروح التجار ويغدون، ويحصل الخراج بأكمله، فصدر المرسوم بخصوص ذلك، وأباح للمسلمين الذبح^(٤٣)."

٢: ٥- مع إحساس "كوبلاي خان"، بحجم الخسارة المادية التي مُنيت بها إمبراطوريته في بلاد الصين، بسبب التشدد إزاء المسلمين، طفق، لاسيما في السنوات الأخيرة من حكمه، يعيد ثقته الأولى بالمسلمين، وبالأخص بأسرة السيد الأجل البخاري، حيث اختار من أحفاده (أبو بكر)، ولقبه ملك المغول بلقب (بايان فنجان)، وجعله زميلاً في الخدمة لأولجاي، ومنحه رتبة (الفنجانية) أي صاحب الديوان، ثم عينه وزيراً لبلاطه مدة عامين، ليحتفظ (أبو بكر) بمنصب الوزارة إلى أن مات

كوبلاي خان سنة ١٢٩٣م، وخلال تلك المدة التي أدار فيها أبو بكر ابن السيد الأجل البلاد إدارة ناجحة ومتطورة، هب الواشون داخل الدواوين يعملون بنشاط ضده، للحيلولة بينه وبين البقاء في هذا المنصب الهام، فأبلغوا الإمبراطور بوسائلهم المختلفة، إن الوزير قد بدّد ستمائة ألف كيس من النقد، ما دفع بالخان الأعظم إلى استجوابه، والتحقق من صحة ادعائهم، فقال أبو بكر: "لقد خففت هذا المال عن الرعية، إذ إن السماء لم تمطر ثلاثة أعوام، ولم ينتج محصول، فصار الرعايا فقراء، فإذا أمرني القآن الآن، فسوف أبيع نساءهم وأطفالهم وأسلم الأموال إلى الخزينة، لكن سوف تخرب الممالك، فأعجب كوبلاي خان برد الوزير وقال: "إن جميع النواب والأمراء يهتمون بأنفسهم فقط، على حين أن (بايان فنجان) يهتم بشؤون الملك والرعية"، وازدادت ثقة الخان الأعظم بوزيره وخلع عليه، وأحال إليه التصرف في كل شؤون الإمبراطورية^(٤٤). وبذلك تعزّز نفوذ أبي بكر ابن السيد الأجل، لاسيما في ظروف المرض التي كانت تسيطر على شخص كوبلاي خان، وما أعقب ذلك من انتشار للفضى داخل دولة المغول في بلاد الصين، بين أبناء كوبلاي خان وأحفاده، وذلك على خلافة العرش، كما برزت شخصية نسائية هامة، وهي والددة تيمور خان حفيد كوبلاي، إذ سعت إلى تحقيق رغبتها الخاصة بإيصال ابنها تيمور إلى عرش الإمبراطورية، ولم يكن أمامها سوى التقرب والاتصال من أبي بكر صاحب الوزارة، والمتصرف في شؤون الدولة، لعلمها بقوة العلاقة ورسوخها التي تربط الوزير بالإمبراطور، ونجحت في توثيق علاقتها به، حتى استدعته وقالت له: "بما أنك حظيت بمثل هذا العطف والرعاية، وعهد إليك القآن (الخان) بالإشراف على شؤون الملك، اذهب واسأله (أي كوبلاي)، إن عرش (جيم كيم)، والد تيمور قد عطل تسع سنوات، فما حكمك في هذا الأمر^(٤٥)، ويبدو أن الوعي الذي تمتع به أبو بكر قاده إلى إدراك الوضع السياسي القائم، بما يحيط به من

قلقل واضطرابات، لذلك سعى إلى الإمساك بزمام الأمور وتحريكها الوجهة التي يشاء، وأقحم نفسه في أعظم الشؤون السياسية للدولة ألا وهو تعيين ولي العهد لذلك بادر بعرض مطالب والدته تيمور على كوبلاي، مبدئاً اهتماماً منقطع النظير على مصلحة العرش والحكم المغولي في بلاد الصين، هذا العرض استنهض كوبلاي من فراش المرض، ودعا الأمراء لاجتماع طارئ، وقال لهم: "كنتم تدعون أن (سرتال) ^(٤٦)، رجل سيئ، على حين أنه عرض كلام الرعية شفقة بهم، وهو الآن يتحدث عن العرش والملك، ويهتم بشأن أولادي حتى لا يكون بينهم من بعدي خلاف ونزاع"، ثم ناداه باسم جده العظيم السيد الأجل، وقال له: اركب الآن وأعد من الطريق حفيدي تيمور الذي يزحف بجيشه... وأجلسه على عرش أبيه ليتولى القاذية، وأقم المآدب والحفلات مدة ثلاثة أيام، وأقرر له الملك، بحيث يسير بعد ثلاثة أيام ويذهب إلى المعسكر، فذهب ابن السيد الأجل بموجب فرمان، وأعاد تيمور قآن من الطريق وأجلسه على عرش والده في مدينة (كيمين فو)، ثم عاد إلى حضرة كوبلاي في بكين ^(٤٧).

وباعتقادنا، أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يهب إمبراطور المغول وخانهم الأعظم هذه الثقة، وتلك الصلاحيات الواسعة لشخص مسلم كأبي بكر ابن السيد الأجل، إلا لأن الرجل يتمتع بقدرات فائقة في فنون الحكم، وخبرة كبيرة في أنظمة الدولة وسياسة الرعية، إلى جانب إخلاصه الواضح وولائه المتين لأسرة المغول القائمة على حكم الصين، التي احتضنته ورعته ليغدو ركناً من أركان الدولة وعماداً من أعمدتها، وقاعدة شورية في استقرار وتقدم البلاد ولا أعتقد أن إسلام أبي بكر كان من جملة اهتمامات كوبلاي خان، وإن أظهره، بمظهر المتسامح، بل حاجة الدولة وإدارة مؤسساتها وتنظيم مواردها المالية، والمحافظة على وحدة الأسرة المغولية هي الأسباب المباشرة التي دفعت بخان المغول الأعظم إلى التمسك بأبي بكر وبغيره من رجالات الإسلام، ويظهر ذلك بصورة جلية من خلال المعتقدات الدينية، التي كان يؤمن بها

كوبلاي خان وأسرته، فقد كان بوزياً (وثنياً) وعلاقته مع المسلمين لم تتغير بمفاهيمه العقائدية شيئاً، إلا أنه بدا متسامحاً ومنفتحاً على الأديان، والإسلام واحد منها، ولذلك حرص أشد الحرص على سيادة المعتقدات البوذية واستقرارها كمعتقد رسمي للدولة، كما احتفظ بلاطه بالكهنة البوذيين من كافة البلدان، كان منهم كاهنان من منطقة التبت، حيث يقيمان في معبد الأصنام الخاص بالملك، ويسمى هذا المعبد بـ (داي ميو)، وقد تمتع هذان الكاهنان باحترام وتعظيم كوبلاي، أما بقية الكهنة فكانوا من بلاد الخطا والهند وكشمير، حيث كانوا بأعداد كبيرة، إلا أن كهنة التبت كانوا أكثر حضوة ونفوذاً داخل البلاط، وقد جعل كل هؤلاء الكهنة أتباعهم ملازمين لمولك وأمراء ونساء المغول^(٤٨)، في الوقت الذي تمسكت الدولة بقواعد اليساق الذي وضعه جنكيزخان سنة ١٢٠٦م، والذي ظل مرجعاً للمغول في التشريع والإدارة^(٤٩).

١:٣- يبرز الدور الأخطر والأهم لأبي بكر ابن السيد الأجل، بعد وفاة كوبلاي سنة ١٢٩٣م، إذ أصبح الرحي الذي دارت حوله مصائر إمبراطورية المغول الصينية، مبرهنًا على أنه الأقوى داخل مؤسسة العرش المغولية، ونلمس ذلك من خلال ما قرره الملكة المغولية (كوكجين خاتون) والدة تيمور من اعتماد أبو بكر كأحد الوسائل الهامة في تقرير مصير الدولة وزعامتها السياسية، إذ دعتة إلى إحضار تيمور ليتولى عرش المملكة، بعد فراغ سياسي أصاب الدولة مدة عام كامل، خضعت مؤسسات الدولة لحكم الملكة المذكورة^(٥٠)، وعندما ظهرت ملامح الصراع على السلطة بين تيمور من جهة، وشقيقه الأكبر (كملاخان) من جهة ثانية، وذلك في الوقت الذي انعقد فيه مجلس الشورى الكبير عند المغول (القورلتاي)، تدخل أبو بكر بقوة، وببراعته ودهائه سارع أمراء وأعيان المغول إلى إجلال تيمور على العرش في مدينة (كيميني فو) سنة ١٢٩٤م، وبعد إقامة الاحتفالات، شرع الملك إلى ترتيب شؤون الجيش والمملكة، وعيّن الأمراء، واختار الوزراء وأصحاب الدواوين، وأقرّ أبابكر في

منصب الوزارة، وحمل لقب (السيد الأجل)، وهو في نظر المغول من اشرف الألقاب وأسمائها^(٥١).

وبالإضافة إلى نفوذ شخصية أبي بكر ابن السيد الأجل، نجد أسماء عربية إسلامية حاضرة في بلاط المغول، تمارس نشاطاتها بقوة ونفوذ داخل مؤسسات الدولة، فنجد من هؤلاء المسلمين الذين تم تعيينهم بمرسوم إمبراطوري، الشيخ عبد الله فنجان، وأمير خواجه، وقطب الدين سمجنك والشيخ مسعود لنجون، جميعهم تصرفوا في الشؤون والمهام الكبرى في الديوان الإمبراطوري، ولهم مساهمات جليلة في إدارة شؤون البلاد^(٥٢)، وثمة فقيه كبير من المسلمين من سكان مدينة بخارى، يلقب بلقب الشيخ رضا، كان عالماً في الكيمياء والطلاسم والنجوم ملازماً للملك تيمور، وتربطه به علاقة حميمة^(٥٣).

٢:٣- على الرغم من الحضور الإسلامي داخل البلاط المغولي، ونفوذ بعض الشخصيات الإسلامية على محاور عديدة داخل الإمبراطورية، لاسيما أثرها في تطوير المؤسستين السياسية والإدارية، إلا أنه -برغم ذلك- لم يظهر أي انتشار صريح للإسلام وسط المغول ولا حتى وسط الشعب الصيني في عاصمة الدولة بكين، ولم تتجج الدعوة الإسلامية لتكون البديل العقائدي للديانة البوذية، التي ظلت مهيمنة على معتقدات أباطرة المغول وأمرائهم، وفي طليعتهم الملك تيمور، الذي ظل يمارس سلطاته الدستورية من مدينة خان باليق (بكين)، إلا أن المهام التي نهض لها رجالات الإسلام، حققت انتصاراً كبيراً خارج دائرة العاصمة (بكين)، وهو أحد المؤشرات التي تدعو إلى الإعجاب والتقدير، فقد أطلعنا مؤرخ البلاط المغولي على مسار ذلك التحول العقائدي وسط المغول تجاه الإسلام، وذلك في ولاية (تتل قوت) وهي الولاية التي منحها تيمور خان للأمير (آننده خان)، وهي أراض واسعة وتعرف بوادي المغرب الصيني العظيم، الواقعة على الجانب الغربي لإقليم الخطا، وفي ذلك الإقليم أربع وعشرون مدينة كبيرة، وأكثر

أهلها من المسلمين^(٥٤)، ويؤكد رشيد الدين الهمذاني الذي عاصر مملكة تيمور، أن التحول العقائدي الذي أصاب هذه الولاية المغولية، ناتج عن مؤثرات العقيدة الإسلامية على فكر الأمير المغولي (آننده)، الذي خضع في طفولته إليها، إذ جعله والده (مينكلقلان بن كوبلاي)، شقيق تيمور، في رعاية الفقيه الشيخ (مهتر حسن الاقتاجي) أحد شيوخ الإسلام في تركستان، وعهد إليه تربيته، فتعلم الأصول الدينية، ورسخت عقيدة الإسلام في فؤاده، وتعلم القرآن الكريم، وصار يكتب الخط العربي بجودة فائقة، وقضى وقته في الطاعات والعبادات وحينما تولى إمارة (تنك قوت)، حمل جيشه البالغ مائة وخمسين ألف جندي على اعتناق الإسلام، ودخل أكثرهم بدين المسلمين^(٥٥).

أحدث تحول (آننده) إلى الإسلام، ثورة جديدة داخل الأسرة المغولية في بلاد الصين، وكانت سياسته الداعية إلى نشر الإسلام بين القبائل والجيش المغولي مثار شؤم لدى العديد من رجالات المغول، لتبدأ حالة من الصراع بين الجانبين، حتى نشطت المؤامرات تحاك ضده وضد سياسته، التي سعت إلى إيقاف هذا الانتشار السريع المفاجئ للإسلام في تلك الولاية، ووصولاً إلى تحقيق هذا الهدف، جاء إلى بلاط تيمور خان أحد رعايا (آننده)، وشكا إليه حال المغول الذين انقلبوا عن البوذية إلى الإسلام، وقال له: "إن (آننده) يلزم المسجد دائماً ويؤدي الصلاة والصيام ويعكف على قراءة القرآن وقد ختن أطفال المغول، وأدخل أغلب الجند في الإسلام"، فغضب تيمور خان وأرسل إليه وفداً كي يمنعه من تأدية العبادات الإسلامية ويبعدوا عنه المسلمين، ويحثونه على الرجوع إلى عبادة الأصنام والسجود لها وإحراق البخور في معابدها، وقد استنكر (آننده) ذلك من الخان الأعظم، ولم يعط اهتماماً للرسول، وقال لهم: "إن الصنم من صنع الإنسان، فكيف أسجد له؟ وإذا كان لا يحل لي أن أسجد للشمس التي هي من صنع الله العظيم، والتي هي روح العالم المادي، وسبب الحياة والنماء للحيوان والنبات، فكيف أسجد لصورة مجسمة صنعها الإنسان؟ إنني أسجد لموجود خلقتني

وخلق الخان الأعظم^(٥٦). وكان لتشدده تجاه الإسلام أن دفع بالخان الأعظم إلى إصدار مرسوم باعتقاله وإيداعه السجن، وذلك للحيلولة بينه وبين تغليب الطبائع الإسلامية على قبائل المغول، للحد من اتساع دائرة انتشار العقيدة الإسلامية في تلك الولاية، واعتقل (آننده) ولم يمنعه هذا الاعتقال من ممارسة العبادات الإسلامية، ولم يحل بينه وبين التأكيد على هويته الجديدة، وقد صرح داخل السجن: "إن آباءنا جميعاً كانوا موحدين، ويعتقدون بوحدانية الله ويعبدونه، فلا جرم أن من الله الأزلي عليهم بملك الأرض كلها ببركة ذلك الاعتقاد الراسخ وجعلهم رؤساء وملوكاً للعالمين، حتى صاروا مرفوعي الرأس فخورين ولم يسجدوا للأصنام قط^(٥٧)".

وبذلك، بدأ إصرار واضح من قبل (آننده) على التمسك برواه الدينية الجديدة، ولم تكن التهديدات من عزيمته، كل ذلك، زاد من عداوة الخان الأعظم له، ولا نشك بدور البعثات التبشيرية الأوروبية التحريضية ضد هيمنة الإسلام على ولاية (آننده)، فالعناد الذي أبداه تيمور خان كان وراؤه من يحركه ويغذيه، بينما احتج (آننده) أنه اقتدى بالملك محمود غازان حاكم إيران والعراق، الذي أسلم وأسلمت معه المغول^(٥٨)، ونقف أيضاً على ظاهرة مثيرة، وهي أن المسار السياسي والعقائدي لدولة المغول في بلاد الصين، تأثرت بالمتغيرات والمؤثرات السياسية والعقائدية، التي تعرضت لها إيلخانية العراق وإيران، هذه التحولات التي تعرضت لها مملكة المغول في إيران والعراق، انعكست بشكل مباشر على مسار الدولة المغولية في الصين، سواء أكان هذا التحول تجاه المسيحية أو تجاه الإسلام، ولاحظنا ذلك سابقاً عندما انحاز أبغاخان بن هولاكو انحيازاً كاملاً لأوروبة المسيحية ضد البلاد الإسلامية ودعاة المسلمين، حيث ألّب زعماء المغول أكثر من مرة ضد مصالح المسلمين الدعوية والتجارية، ثم نجد إسلام الدولة المغولية في عهد محمود غازان، قد أصاب بتأثيره القبائل المغولية في الصين، وإسلام محمود غازان حول مسار الدولة (في إيران والعراق) وفقاً للقوانين والتشريعات الإسلامية وذلك ما بين عام ١٢٩٥-١٣٠٤م^(٥٩).

ويعيد هنا، رشيد الدين الهمذاني، الذي عاصر هذه الأحداث، تأكيداً على تنامي عظمة الإسلام في ولاية (تتك فوت)، في انتشاره السريع بين المغول، وتوقع الهمذاني، ازدهاراً مطرداً للإسلام في تلك الولاية، وأشار إلى أن الإسلام فيها سيصل إلى حد الكمال، إذ إن الناس هناك يدخلون في دين الله أفواجا، وهو الأمر الذي سيوصلهم إلى الوحدة الإسلامية والإسلام الحنيف^(١٠).

٢:٣- حققت الدعوة الإسلامية نجاحاً كبيراً وانتشاراً واسعاً وسط المغول في ولاية الأمير (آنده)، وسيطرت على معتقدات شعوب هذه الولاية سيطرة كاملة لن يستطع الخان المغولي الأعظم، رغم محاولاته المتكررة، من وقف نشاطها ومؤثراتها، مما اضطر الحكومة المركزية في بكين إلى التعامل مع ظاهرة انتشار الإسلام كأمر واقع، لاسيما بعدما أعلن الأمير المغولي (آنده) في مؤتمر الشورى الكبير (القوليات) عن نيته في توسيع دائرة النشاط الإسلامي، حتى انتزع اعترافاً رسمياً من الخان الأعظم بديانة الإسلام، وإعلانه مناصرة الدولة وتأييدها لتوجيهات (آنده)، كونه اقترى أثر غازان في اعتناقه للإسلام^(١١)، وبدافع الحرص على نشر الإسلام، فقد أشاد (آنده) المساجد الكثيرة في معظم المعسكرات التابعة لولايته وكذلك المدن والقرى، وأشغل نفسه في العبادة وقراءة القرآن^(١٢)، بالإضافة إلى أنه أصبح هالة من التعظيم على أولاد وأحفاد الشيخ (مهتر حسن الاقتاجي)، الذي كان له الفضل في تحويل مسار هذه الولاية العقائدي باتجاه الإسلام، وتمتع أولاده، هندو ووحيد، وجمال آغا، ومحمد الاقتاجي باحترام كبير، وأصبح بعضهم من المقربين لدى الخان الأعظم تيمور، واستمروا يبذلون أقصى الجهود في تقوية الإسلام في بلاد الصين^(١٣).

على الرغم من موقف تيمور خان المؤيد للإسلام في بلاده، واعترافه رسمياً به كدين ينبغي احترام وتقدير أتباعه أينما كانوا، إلا أن معتقده ظل ضمن دائرة الديانة البوذية، حريصاً على تثبيت قواعده وإعلاء شأنه، فشيّد من أجل ذلك معابد الأصنام في سائر

البلاد، وخص الكاهن التبتى بمنزلة رفيعة، وجعله مرجعاً له فيما يتعلق بشؤون الديانة البوذية، كما بدا منه انهماكاً في العبادة داخل تلك المعابد وأحياناً كان ينقطع أياماً طويلة في عبادة الأصنام^(٦٤).

١:٤- استمرت سياسة أباطرة المغول تجاه الإسلام متسامحة متصالحة، حتى بعد وفاة الخان الأعظم تيمور سنة ١٣٠٧م، هذه السياسة التي منحت حق الوجود الإسلامي في المنطقة، وحرية -ولو نسبياً- نشر الدعوة الإسلامية، وذلك في عصر كولوك خان، ١٣٠٧-١٣١١م، وعهد "توغان تيمور"، ١٣٣٢-١٣٧٠م، الذي زار مملكته الرحالة الشهير ابن بطوطة بحدود سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م، حيث مكث الرحالة العربي ما يقرب من سبع سنوات، يطوف في أرجاء إمبراطورية المغول حتى عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م، وقد خصّ في رحلته موضوعات كثيرة متنوعة حول واقع الإسلام والمسلمين في بلاد الصين، وبذلك كشف للباحثين عن حقائق تاريخية ذات أهمية تاريخية كبيرة.

ثم نجد حوالي سنة ١٣٠٩م، اهتماماً مغولياً بالتجمعات الإسلامية، ففي نفس العام أصدر إمبراطور المغول "كولوك خان" (١٣٠٧-١٣١١م)، أمراً باتخاذ ما يجب لرفع شأن مدرسة الهوى - هوى (أي المسلمين)، التي تراجعت عن تأديّة مهامها في السابق، وكذلك اتخذ وزيراً من المسلمين كان يعرف باسم (جاهان) من مواليد مدينة بلخ، حيث كان من أعلم أهل زمانه، وقد كتب موجزاً بالمغولية للحوليات الصينية^(٦٥)، ويقرر الأب جوبيل (Goubil)، أن المسلمين كانوا دائماً على أعظم جانب من القوة في قصر أمراء المغول، وكان لهم كتائب وقواد من جنسهم، كما كان منهم الموظفون الكبار في جميع الفروع، ولاسيما في الرياضيات، وأسائذة عظام ووزراء^(٦٦)، كما نلاحظ في عصر "توغاتيمور" (١٣٣٢-١٣٧٠م) بروز شخصية إسلامية هامة ومتنفذة، ويبدو أنها امتلكت ناصية القرار في إمبراطورية المغول الصينية في هذه المرحلة، هذه الشخصية هي السيد باين جاسر الدين، الذي تولى منصب رئاسة

الوزراء من سنة ١٣٣٠-١٣٤٠م، مبدئياً كفاءة عالية، كذلك نجد أن الأعيان المسلمين المسجلة أسماؤهم في سجل طبقة الأعيان الملكي كانوا يزدون عن المائة نفر، وكان والد السيد باين، أحد هؤلاء الأعيان، وعين والياً على ولاية (يوان)، وحفر في عاصمتها قنوات كثيرة، مازلت باقية إلى الآن^(٦٧).

٢:٤- لقد كان مسار الدولة المغولي من عام ١٢٢٧م، وحتى عام ١٣٧٠م، ورغم ما أحاط به من متغيرات سياسية وبعض الغموض، بالإضافة إلى حالة المد والجزر، التي أصابت الدعوة الإسلامية، إلا أن ذلك لم يمنع من أن تكون هذه الفترة هي بدايات تأثير جديد للعرب والمسلمين على شعوب الصين والمغول في آن معاً، لأن شروط ذلك التأثير توفرت في عدة عوامل، منها: حالة التسامح التي حرص زعماء المغول على التمسك بها إزاء الأديان، ومنها حرص المسلمين على إثبات هويتهم من خلال الوصول إلى السلطة والسيطرة على مناهج التدريس والتعليم، وبناء المساجد والمدارس، وهذا ما أشار إليه الرحالة الأجانب، والرحالة العربي ابن بطوطة، فقد زار الرحالة المغربي مدن صينية مغولية عديدة، وأماط اللثام عن حضور إسلامي واسع فيها، فقد زار مدينة الزيتونة (شوان شوفو Shuan - Shu-Fou)^(٦٨)، ومدينة الخنساء (هانك شو Hank-Shou)^(٦٩)، ومدينة خان باليق (بكين) ومدينة صين كلان وهي عاصمة إقليم كورية^(٧٠)، ومدينة فنتجنفو (كيان تشانج فو Kianchang Fou)^(٧١)، والجانب الأهم الذي أعطانا ابن بطوطة صورة مضيئة عنه، هو أحوال الدعوة الإسلامية والتجمعات الإسلامية وطرق معيشة المسلمين الخاصة، ونظمهم الاجتماعية والتنظيمات السكانية، على أن الواقع الذي فرض على المسلمين في بلاد الصين، وبحكم أنهم أقلية سكانية، دفع بهم تخوفهم من الانصهار والضياع وسط المجتمعات الصينية الضخمة إلى اتخاذ أسلوب خاص بهم يميزهم عن غيرهم من سكان الصين، بدعوى المحافظة على معتقداتهم وثقافتهم المتصلة بالعرب والمسلمين، فاتخذوا مناطق سكنية منفصلة عن بقية التجمعات المغولي والصينية،

وساق ابن بطوطة أمثلة كثيرة لتأكيد ذلك، وقال عن المسلمين في مدينة (شوان فو):
 إنهم ساكنون في مدينة على حدة^(٧٢)، وفي مدينة (هانك شو)، يسكن المسلمون في
 المدينة الثالثة، إذ إن المدينة تنقسم إلى ست مدن، في الوقت الذي كانت مدينة
 المسلمين حسنة جميلة^(٧٣)، وكذلك الحال في مدينة (بكين)، على أن ابن بطوطة يقدم
 لنا صورة أوضح حول تجمع المسلمين وسكانهم في مدينة (كيان تشانج فو) إذ يقول:
 "كان للمدينة أربعة أسوار، يسكن ما بين الأول والثاني عبيد السلطان من حراس
 المدينة.. ويسكن ما بين الثاني والثالث الجنود والأمير الحاكم على البلد... ويسكن
 داخل السور الثالث المسلمون.. ويسكن داخل السور الرابع الصينيون... ومقدار ما
 بين كل باب منها والذي يليه ثلاثة أميال أو أربعة... ولكل إنسان بستانه وداره
 وأرضه"^(٧٤).

كما بين بشكل يدعو إلى الإعجاب، التنظيمات الدينية والاجتماعية الدقيقة، التي جعلها
 المسلمون منهجاً لحياتهم، مؤكداً على أن لكل مدينة أو حي أو تجمع خاص بالمسلمين
 يكون شيخاً للإسلام، وقاضياً وزعيماً، وذلك للحفاظ على تماسك وحدتهم الاجتماعية
 والدينية، محاولة منهم للعيش وفقاً لمقتضيات التشريع الإسلامي لكل جوانب الحياة،
 من تطبيق للشعائر الدينية، وتنفيذاً للأحكام وتدریس العلوم القرآنية والأحاديث النبوية،
 وقد أنيط بشيخ الإسلام جميع أمور وأحوال المسلمين، ليصبح المرجع في كل ما يتعلق
 بمصالح المسلمين وعلاقاتهم مع الآخرين^(٧٥)، فأشار إلى أسماء أولئك المسلمين
 القائمين على خدمة الإسلام والمجتمع الإسلامي، ففي مدينة (شان شوفو)، تولي قضاء
 المسلمين الشيخ تاج الدين الأردبيلي، وتولي مشيخة الإسلام، الشيخ كمال الدين عبد
 الله الأصفهاني^(٧٦)، أما في مدينة (هانك شو)، فكان قاضياً الشيخ فخر الدين، ولم
 يذكر اسم شيخ الإسلام فيها، أما شيخ الإسلام في مدينة (بكين)، فكان الشيخ برهان
 الدين الصاغرجي^(٧٧).

ومن المظاهر التنظيمية التي مارسها المسلمون حفظاً لمعتقداتهم وثقافتهم، اهتمامهم ببناء المساجد والزوايا العلمية والمدارس، والأسواق التجارية الخاصة بهم، حيث انتشرت في معظم المدن الصينية، التي يتواجد فيها المسلمون، على أن أشهر وأكبر المساجد ما بناه المسلمون في مدينة (بكين)، بأمر من الإمبراطور المغولي كوبلاي خان، قيل إنه كان يتسع لمائة ألف مصل^(٧٨)، وكذلك المسجد الجامع الكبير، الذي بنه الشيخ عثمان المصري في مدينة (هانك شو)، ووقف على المسجد أوقافاً كبيرة، وأن عدد المسلمين في هذه المدينة كبير جداً^(٧٩)، وتؤكد المصادر أن مدينة (هانك شو) كان فيها ثلاثة مساجد كبيرة، بحيث تمتلئ يوم الجمعة بالمصلين المسلمين، وذلك إشارة إلى كثافة المسلمين هناك، إذ بلغ تعدادهم أربعة (طومانات) أي أربعون ألفاً^(٨٠)، كما حرص المسلمون أشد الحرص على بناء المدارس والزوايا العلمية، للحفاظ على تواصل المسلمين بمعتقداتهم وتراثهم الديني، وأدأمة ارتباطهم الروحي والنفسي بالعالم الإسلامي من خلال تخريج وإعداد العلماء والفقهاء والقضاة والقراء ومشايخ الإسلام، وتشير المصادر إلى أن أول مدرسة أقيمت للمسلمين وبإشراف المغول، هي المدرسة التي أمرت ببنائها الملكة المغولية (سيور بيكي)، في مدينة بخارى^(٨١)، ومدرسة أخرى أمر ببنائها الإمبراطور (كوبلاي خان) أثناء وزارة السيد الأجل البخاري، في مدينة (تاي تو Tai-Tou)، لتعليم العلوم والفنون، وجعل الإشراف عليها للمسلمين، الذين اشتهروا في تلك الأيام بـ (هوى هو Hoey-hou)^(٨٢)، وكان للمسلمين سكان مدينة (هانك شو)، زاوية شهيرة تعرف بالزاوية العثمانية، حسنة العمارة وأوقافها كثيرة، والقائمون على خدمتها كثيرون^(٨٣)، كما أشار ابن بطوطة أثناء زيارته لمدينة (صين كلان) -الواقعة في كورية حالياً إلى وجود بعض الزوايا المخصصة للمسلمين، وينهض على خدمتها المشايخ والقضاة والتجار، وكان للشيخ برهان الدين الكازروني، زاوية خاصة خارج مدينة (شوان شوفو)^(٨٤)، أما الأسواق الخاصة بالمسلمين، فكانت منتشرة في معظم المدن الصينية.

٤:٣- في الوقت الذي استعصت فيه الصين على الفاتحين العرب المسلمين، فقد أفلح المسلمون، الذين أسروا من بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراق والشام في النفاذ إلى الصين من خلال جدارهم الحصين، الذي تم اجتيازه بمعية المغول، وطفقوا يؤثرون فيها، وإن كانت تلك المؤثرات بطيئة، إلا أنها فعلت فعلتها في جعلها الإسلام، عقيدة وثقافة هو الديانة الثانية في بلاد الصين، أضف إلى ذلك، أن المسلمين هم السبب وراء نقل تطور العلوم والثقافة العربية الإسلامية إليها، وهذا الجهد كان وراء رجال عظماء، منهم من ظهر في ثنايا هذه الدراسة، وأكثرهم ظلوا جنوداً مجهولين، أولئك: الدعاة الذين عملوا على نشر الإسلام بكل حنكة ودهاء واجترار، ودون إثارة وتأليب السلطة المغولية ضدهم، واستكمالاً للفائدة فإننا نجد أهمية كبيرة في ذكر أسماء هؤلاء العظام، كشيخ الإسلام سيف الدين البخارزي، والوزير محمود يلواج وولده مسعود بيك، والوزير عمر الدين البخاري الشهير بالسيد الأجل، وولده أبو بكر، والأمير الوزير أحمد الفناكتي، والشيخ بهاء الدين البهائي، ومولانا حميد الدين السمرقندي، ومولانا برهان الدين البخاري، والشيخ بهاء الدين قندوزي، والشيخ شادي زوجانك، والشيخ عمر القيرقيزي، والشيخ ناصر الدين الكاشغري، والشيخ عبد الله فنجان، والشيخ أمير خواجه، والشيخ قطب الدين سمجنك، والشيخ مسعود لنجون، والعلامة الشيخ رضا البخاري، والعلامة الشيخ مهتر حسن الاقتاجي، وأبناؤه، الشيخ هندو، ودولت شاه وحيد، وجمال آغا، ومحمد الاقتاجي، وقاضي المسلمين تاج الدين الأردولي، وشيخ الإسلام كمال الدين عبد الله الأصفهاني، والشيخ برهان الدين الكازروي، والأعيان السيد جاسر الدين، وولده الوزير باين، وأولاد عثمان المصري، والعلامة الشيخ علاء الدين بن حسام الدين المالكي، والشيخ حسن دوجاق.

الخاتمة:

عندما نقف أمام الكوارث المتتالية، التي حلت بالدولة الخوارزمية ١٢١٨-١٢٢٤م، ودولة الخلافة العباسية ١٢٥٨م، وممالك الأيوبيين في بلاد الشام ١٢٦٠م، يقع في أيدينا حال المسلمين وتدهور أوضاعهم وانهيار معنوياتهم وفقدانهم السيطرة والتوازن، حتى أصبح بحكم المؤكد أنهم أبيدوا عن بكرتهم، واستئصلت معتقداتهم وأفكارهم وثقافتهم الدينية، والحقيقة هي عكس ذلك تماماً، إذ إن المسلمين حنّوا الخطى بطريق وأساليب مختلفة للحفاظ على الإسلام ومعتقداته وأفكاره، حتى وهم يعيشون في كنف الحكم المغولي، ورجال الإسلام بذلوا جهداً عظيماً في إيصال معتقداتهم وثقافتهم إلى إمبراطورية الصين المغولية، وجهدهم يعدّ ظاهرة تثير الغرابة والإعجاب الكبيرين، لذلك، وبعدما استعرضنا مسيرة الإسلام ومؤثراته المباشرة وغير المباشرة على مجتمع المغول والصينيين، نصل إلى المحصلات التالية:

أولاً: شكّلت حالة الأسر التي تعرض لها المسلمون كالعلماء والفقهاء والمهنيين والحرفيين في أواسط آسيا وإيران والعراق على يد المغول، واقعاً جديداً ومضطرباً بالنسبة للمسلمين، إذ إن حالة النفي القسرية التي تسببت في إخلاء المدن الإسلامية، وتحطيم التجمعات السكانية، كالقبائل والأسر، أدت إلى خلق حياة مليئة بالمتناقضات بحكم وجودهم في بلاد الصين الغربية وتحسنت الحكم الغلاظ الشداد، وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة التي واجهت المسلمين، إلا أنهم نجحوا في استغلال وجودهم في بلاد الصين، ليعلموا على نشر الإسلام وتطوير المجتمعات الصينية من خلال نقل المعارف العربية الإسلامية إلى الصين وكورية واليابان، وإن كانت الأندلس وصقلية والحروب الصليبية المعابر، التي عبرت من خلالها مؤثرات الحضارة العربية الإسلامية إلى شعوب أوروبا، فإن المغول و المسلمين هم الجسور التي عبرت من خلالها مؤثرات العرب المسلمين إلى الصين واليابان وكورية.

ثانياً: الكفاءة العالية والموهبة، والخبرة العملية والنظرية، وسعة العلم والمعرفة، كانت السمات البارزة لدى رجالات الإسلام في بلاط المغول، هي أيضاً التي استهوت عقول أباطرة المغول للاحتفاظ بالمسلمين داخل البلاط وإيصالهم إلى أعلى المناصب السياسية، بدعوى تطوير مؤسسات الدولة السياسية والإدارية والمالية، التي نجح علماء المسلمين فعلياً في النهوض بالدولة المغولية وجعلها أكثر تحضراً وتمدناً وتطوراً، وكان لتلك السمات، التي لازمت المسلمين، أن اضطر أباطرة المغول في بلاد الصين إلى تحقيق سياسة التسامح الديني تجاه المسلمين.

ثالثاً: بدا كذلك تنافس شديد بين المسلمين من جهة، والمسيحيين من جهة ثانية، على استقطاب الجنس المغولي كل إلى دينه ومعتقدده، هذا التنافس أوقع سياسة الدولة المغولية في حالة التآرجح وعدم الاستقرار على سياسة واضحة وثابتة، وقد تأثرت دولة المغول في الصين تأثراً مباشراً بتحولات مسار إيلخانية المغول في العراق وإيران، ففي الوقت الذي اعتلى فيه أبغاخان بن هولاكو عرش الإيلخانية كشف عن عداوة سافرة ضد المسلمين، ليس فقط المسلمون في إيران والعراق، بل والمسلمون داخل إمبراطورية الصين، وراح يتحالف مع الأوروبيين الصليبيين ضد العالم الإسلامي، وهي الفترة التي شهدت بعثات تبشيرية كبيرة جداً وصلت إلى بلاط المغول في الصين، وعلى رأسها ماركوبولو، وروبريكو وكاريني، الذين جدوا الخطى إلى تحقيق أهدافهم الرامية إلى إحداث قطيعة بين المغول والمسلمين، ومن ناحية أخرى، تأثر مسار الدولة أيضاً، عندما تولى محمود غزان عرش إيران والعراق وكان هذا التأثير لصالح المسلمين، إذ نشطت الدعوة الإسلامية في الصين وحققت انتصاراً كبيراً حينما انتشرت وبسرعة وسط القبائل المغولية.

رابعاً: أوضحت هذه الدراسة عن همة المسلمين العالية ومعنوياتهم التي لا تعرف الكلل والملل، ولا الريبة والخوف، فقد كان رجالات الإسلام بكثافة عديدة كبيرة،

لم نصل إلا لمعرفة ما تمكنا الوصول إليه من خلال المصادر المتوفرة لدينا، فكان من أبرزهم الأعلام العظام السيد الأجل البخاري، وأولاده، والأمير أحمد الفناكتي، والعلامة الشيخ مهتر حسن الاقتاجي وأولاده، وغيرهم.

خامساً: وأخيراً، وقفنا على تطور كبير في المجتمعات الإسلامية في بلاد الصين، من خلال تطبيق تنظيمات خاصة بالمسلمين في معظم المدن الصينية، والتي جاءت على شكل محكم، شيخ الإسلام، وقاضي للمدينة، وزعيم لتجار المسلمين، وهي تنظيمات تعكس حرص المسلمين على الوحدة والترابط، وبالتالي المحافظة على العقيدة والتراث الإسلامي في بلاد مأهولة بالسكان البوذيين وغيرهم، وحتى لا ينصهر المسلمون ويندمجوا ويذوبوا في هذا الوسط الكبير، طبقوا مثل هذه التنظيمات الخاصة ونجحوا فعلياً في الحفاظ على مجتمعاتهم ومعتقداتهم وثقافتهم، وشكلت عامل قوة لهم مما فرض على دولة المغول احترامهم والتسامح إزاءهم بل واتخاذ عناصر سياسية هامة منهم.

الهوامش

(١) البلاذري، أبو العباس أحمد بن عيسى بن جابر، فتوح البلدان، طبع ليبدن ١٨٧٠م، ص ٤١٨، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

(٢) محمد بن أحمد النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي (طبعة باريس فرنسة، ١٨٩١م)، ص ٥١، ٥٢، ٥٣.

(٣) Bertold, Supluer, The mongols in history 1st ed. (London 1972), P. 11, (٣) Encyclopedea of Islam, Vol. II, P.42.

(٤) للمزيد حول سقوط مدن الدولة الخوارزمية، راجع النسوي سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥١، ٥٢، ٥٣، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٩٠، ٩١، ٩٣.

(٥) رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قآن إلى تيمور قآن، نقله إلى العربية د. فؤاد عبد المعطي العباد، ويحيى الخشاب، (بيروت، ١٩٨٣)، ص ١٦٠-١٦١، النسوي، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٦) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٠٣-٢٠٤.
Ischboldin, Essay on Tatar history, 1st. ed. (New Delhi, 1963), p29.

ثمة أسباب في رفض زعماء المغول ولاية كيوك خان عرض الإمبراطورية المغولية في بلاد الصين ومنغوليا، من ذلك، ما كان يطمع إليه أبناء تولي خان كـ "منكوخان" من الوصول إلى العرش، كونه من أولاد أكبر أبناء جنكيز خان، ومن ذلك أيضاً، أن أسرة تولي رفضت قبول زعامة "كيوك" لأسباب دينية وثقافية فقد كان باتو مثله مثل جنكيز خان، ينظر نظرة استخفاف ولا مبالاة إلى جميع الأديان السماوية وشبه

السماوية في الأقاليم المغولية، وبقيت أسرة "باتو" مخلصه للديانة الشامانية التي كانت تؤمن بإله واحد، لكنهم اعتبروا الشمس والقمر والحياة كائنات عليا قدموا لها الصلوات والأضحيات، بينما كان كيوك ينتمي إلى جيل متأثر بالديانة المسيحية وعلى المذهب النسطوري، وحتى ولو لم يكن هو نسطورياً بشخصيه، إلا أنه كان يظهر محاباة عظيمة للمسيحيين مدى حياته، كما كان يعتقد أن البابا والملك لويس التاسع ملك فرنسا كان يتوقا لوضع نفسيهما تحت حمايته وسلطته، ويظهر هذا الاعتقاد بوضوح في الجواب الذي سلمه كيوك إلى بعثة البابا بزعامه المبشر المسيحي "جيوفاني دي بلانو كاريني"، وهي الرسالة التي لا زالت محفوظة في أرشيف الفاتيكان، برتولد شبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، نقله إلى العربية، الأستاذ خالد أسعد عيسى، وقدم له د. سهيل زكار، ص ٤٠-٤١، (دمشق، ١٩٨٢م).

Arnold; T; The Preaching of Islam, (lahore, 1979), P. 335 Bertold, S; (٧ op-cit. p23.

china and world cultural Exchange, No. 3. 1996, AN Article of: History and culture of the mongols, By, Fu Ning, pp. 42-43.

٨. رشيد الدين، المصدر السابق، ص ١٩٧-١٩٨.

٩. نفس المصدر، ص ١٩٨.

١٠. بارتولد شبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، نقله إلى العربية الأستاذ

خالد أسعد عيسى، راجعه: د. سهيل زكار، (دمشق، ١٩٨٢م)، ص ٤٣.

Ischboldin, op-cit, p. 29

١١. رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢١٦-٢١٧.

١٢. رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢١٨.

Erskine, Ahistory of India under Baber and Humyan, II vols. (١٣ (Karachi, london, Delhi, 1974) vol. I, P. 534. Runciman, s. Ahistory of the

crusades, The Kingdom of Acre, (Cambridge University press, 1954) vol. III, pp. 294-297.

د. جوزيف نسيّم، العدوان الصليبي على بلاد الشام، (دار الكتب الجامعية، ١٩٦٩م)، ص ٢٨٦-٢٨٨.

عندما نطالع كتب الأوروبيين حول التنافس الديني المحتدم بين الإسلام والمسيحية على كسب المغول كل معتقدة، نلاحظ تعمداً مقصوداً في تغييب المؤثرات الإسلامية (عقيدة وثقافة وفكر) عن الساحة الصينية أيام الحكم المغولي، بينما يكتفون تفسيرهم للأحداث وفقاً للمكتسبات النصرانية (المذهب النسطوري) لدى بلاط المغول، ويركزون على السفارات والبعثات التبشيرية كرموز مؤثرة غاية التأثير على ثقافة ومعتقدات المغول والصينيين، بالإضافة إلى أنهم المسبب الرئيس في الاتصال الحضاري ما بين شرقي آسيا مع بلدان أوروبا الغربية، من هؤلاء المبشرين: "ولهم فون روبروك الفرنسي، والمبشر جيفاني دي بلانو كارييني، والمبشر ماركو بولو" وغيرهم. وأهم المؤرخين الأوروبيين الذين غيبوا -عن عمد- مؤثرات الإسلام في تلك البلاد، بارتولد شبولر.

١٤) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١٠.

١٥) نفس المصدر، ص ٢١٥.

١٦) نفس المصدر، ص ٢١٩.

Sanuders, J. J, The History of the mongol conquest, (1st. ed. London, (١٧71), p. 120.

١٨) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ١٩٦، ٢٣٦، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣.

١٩) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة، ١٩٢٢م)، ج ٤، ص ٤٨٦.

٢٠) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

- (٢١) فهمي، هويدي، الإسلام في الصين، (منشورات عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١م)، ص ٦٧.
- (٢٢) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٤.
- (٢٣) فهمي، هويدي، المصدر السابق، ٦٧.
- (٢٤) لوثرروب ستورد، حاضر العالم الإسلامي، تعريب عجاج نويهض، وفيه فصول وحواش وتعليقات بقلم أمير البيان شكيب أرسلان، (بيروت، ١٩٧٢م)، ج ٢، ص ٢٣٣، ٢٣٢.
- (٢٥) عباس إقبال، تاريخ مفصل إيران، ج ١، ص ١٦٤، نقلاً عن د. فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ (الجزء الأول، بيروت، ١٩٨٠م)، ص ٢٢٢.
- (٢٦) مقدمة كاترمير، على كتاب جامع التواريخ، ط، ص ١٢٣.
- (٢٧) مقدمة كاترمير، ج ١، ص ١٢١، (تاريخ الصين، ج ٩، ص ٣١٥، ٤١٢).
- (٢٨) حاضر العالم الإسلامي، ج ٢، ص ٢٣٣.
- (٢٩) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٤.
- (٣٠) نفس المصدر، ص ٢٨٨.
- (٣١) نفس المصدر، ص ٢١٦-٢١٧ و ٣٢.
- (٣٢) Bertold's, op-cit. p. 34.
- (٣٣) Arnold, T, op-cit. p. 232, Sannders, op. cit, p. 130.
- (٣٤) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٩٠.
- (٣٥) رشيد الدين، ص ٢٩١.
- (٣٦) فؤاد الصياد، المرجع السابق، ص ٢٢٥.
- (٣٧) رحلة ماركو بولو، ص ١٨٠-١٨١، فؤاد الصياد، ص ٢٢٥-٢٢٦. د. فايد حماد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، (طرابلس، ١٩٩٥م)، ص ٨٩-٩٠.

(٣٨) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٣٩) ذكر رشيد الدين الهمذاني، إن جماعة من التجار المسلمين قدموا إلى بلاط الخان الأعظم وأهدوا له صقراً أبيض القدم، أحمر المنقار، وعقاباً أبيض، فشمل الخان بعطفه ورعايته، وقدم لهم طعاماً من مائدته، لكنهم لم يأكلوه فسألهم لماذا لم تكلوا؟ فأجابوا: إن هذا الطعام يعتبر ميتة في شريعتنا، فغضب الخان كوبلاي، وأمر بالآذبح المسلمون وأهل الكتاب الأغنام منذ هذه اللحظة، وإنما يشقون بطونها وأكتافها جرياً على عادة المغول، وكل من يذبح غنماً يذبح مثلاً، وتتصرف الدولة في نسائه وأولاده وأمواله، (جامع التواريخ، ص ٢٨٩).

(٤٠) AL-Juzjani, Tabqat-i-Nasiri, translated into English by major every, II, Vols.(New Delhi,, 1970),Vol. II, P. 185; Arnold, T, op-cit, PP-227-228.

(٤١) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٤٢) بدر الدين حي، العلاقات بين العرب والصين، ص ١٨٢. د. فيصل السامر، الأصول التاريخية للحضارة العربية في الشرق الأقصى، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ١٢٥.

(٤٣) رشيد الدين الهمذاني، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٤٤) نفس المصدر، ص ٢٩٦.

(٤٥) نفس المصدر، ص ٢٩٦.

(٤٦) ويعني الرجل الذي ينحدر من أسرة أصلها من بلاد ما وراء النهر، ويقصد بذلك وزيره أبو بكر بن السيد الأجل.

(٤٧) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(٤٨) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٤٩) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٨٥.

٥٠) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٣١٣.

٥١) نفس المصدر، ص ٣١٤.

٥٢) نفس المصدر، ص ٣١٥.

٥٣) نفس المصدر، ص ٢٩٧.

٥٤) نفس المصدر، ص ٣١٦.

٥٥) نفس المصدر، ص ٣١٦.

٥٦) نفس المصدر، ص ٣١٦-٣١٧.

٥٧) نفس المصدر، ص ٣١٧.

٥٨) يذكر رشيد الدين الهمذاني أن تيمور خان استدعى (أننده) للتحقيق معه حول انتشار الإسلام في ولايته، وقال له: هل رأيت رؤيا أو سمعت إلهاماً أو حدث لك شيء أو أرشدك شخص إلى طريق الإسلام؟ أفصح عن هذا الشخص كي يهديني أنا كذلك، فأجاب أننده: لقد هداني الله الأعظم إلى معرفته، فقال تيمور: "إنما هداك الشيطان إلى ذلك السبيل، فأجاب: إذا كان الشيطان قد هداني، فمن الذي هدى غازان خان، الذي هو أخي الأكبر؟ فلزم تيمور خان الصمت وطفق يفكو، فقالت له الملكة (كوكجين خاتون) على سبيل النصيح: "لقد جلست على العرش منذ عامين، ولم يستقر لك الملك بعد) ولأننده جنود كثيرون، وجميع هؤلاء الجنود وأهل ولاية (تنك قوت) مسلمون، ويستكرون منك هذا الموقف، وربما يغيرون قلوبهم فتكون على مقربة من الأعداء، وإن فليس من المصلحة إجباره على ترك الإسلام، فلندعه وشأنه لمذهبه ونحلته"، وبذلك أمر تيمور بإخلاء سبيله، وأعادته حاكماً على ولاية (تنك قوت).

٥٩) د. جعفر حسين خصباك، العراق في عهد المغول الإيلخانيين، (بغداد، ١٩٦٨)،

ص ١٩٤.

Arnold, I, The Preaching of Islam, P. 235.

- (٦٠) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٣١٨.
- (٦١) رشيد الدين، ص ٣١٨، وقد قال تيمور خان في هذا الاجتماع: إن (أنسده) قد اقتفى أثر غازان في اعتناقه الإسلام، فليعمل هو أيضاً بما سوف يوحى إليه إسلامه، إذ إنني فكرت فوجدت أن الإسلام طريق مستقيم ودين قويم.
- (٦٢) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٣١٩.
- (٦٣) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٣١٨.
- (٦٤) رشيد الدين، المصدر السابق، ص ٣١٤، ٣٢٣، ٣٢٤.
- (٦٥) مقدمة كاترمير على جامع التواريخ، ج ١، ص ١٢٠-١٢١.
- (٦٦) الأب جوبيل (Goubil) تاريخ جنكيز خان، ص ٢٤٥، ٢٤٩، نقلاً عن مقدمة كاترمير، ج ١، ص ١٢١.
- (٦٧) حاضر العالم الإسلامي، ج ٢، ص ٢٧٢.
- (٦٨) د. علي المنتصر، ص ٧٢٢.
- (٦٩) نفس المرجع، ص ٧٢٨.
- (٧٠) د. فيصل السامر، الأصول التاريخية، ص ٤١٦، والصين صين، هي كورية واليابان.
- (٧١) د. حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص ٢٠٦.
- (٧٢) ابن بطوطة، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتب هوامشه، طلال حرب، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٦٣٤.
- (٧٣) ابن بطوطة، نفس المصدر، ص ٦٤٠.
- (٧٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٣٧.
- (٧٥) بطوطة، ص ٦٣٥.
- (٧٦) بطوطة، ص ٦٣٥.

- ٧٧) بطوطة، ص ٦٤٠-٦٤٣.
- ٧٨) بدر الدين حي، المرجع السابق، ص ١٨٢.
- ٧٩) ابن بطوطة، نفس المصدر، ص ٦٤٠.
- ٨٠) عبد الله الببضاوي، نظام التواريخ تاريخ الخطا، ص ٨-١١.
- Oderic, Histoire merveilleuse due grand chan de Tatory, PP-61-62 مقدمة
- كاترمير على جامع التواريخ، ص ١١٣.
- ٨١) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص ١٩٨.
- ٨٢) كاترمير، ص ١٢١.
- ٨٣) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٦٤٠.
- ٨٤) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٦٣٥.